نعمة الألم

للاستاذ احمد امين

لندع الآن جانبا وصف ما كان من الخلاف بين علماء النفس فى أن الألم شعور موجب، أو لذة سالبة، ولندع كذلك بحوثهم الطويلة فى تقسيم الألم الى أنواع: فنوع منه كالذى نشعر به عند وجع الاسنان، ونوع كالذى نشعر به عند الفشل فى محاولة، ونوع كالذى نشعر به عند مواجهة ما نكره الخ

ولندع أيضا بحوث علماء الاخلاق فى أن الانسان فى جميع أفعاله يطلب اللذة، ولا يطلب شيئا غيرها، ويهرب من الألم ولا يهرب من شىء غيره، وأنه حين يفر من لذة فانما يفعل ذلك لطلب لذة أكبر منها، وأنه حين يتحمل الألم فانما هو يفر من ألم أكبر منه، أو يتطلب بألمه لذة أكبر مما تحمل — ولندع التعرض لما قام حول هذه النظرية من نزاع.

لندع هذا كله، ولننظر الى أثر اللذة فى الحياة العامة وأثر الالم فيها، فيخيل الىّ أنا مدينون للألم بأكثر مما نحن مدينون للذة، وأن فضل الألم على العالم أكبر من فضل اللذة

إن شئت فتعال معى نبحث فى عالم الأدب، أليس أكثره وخيره وليد الألم؟ أو ليس الغزل الرقيق نتيجة لألم الهجر أو الصد أو الفراق؟ ذلك الألم الطويل العريض العميق تتخلله لحظات قصيرة من وصال لذيذ، وليس هذا الوصال اللذيذ بمنتج أدبا كالذى ينتجه ألم الفراق، وإن الأديب كلما صهره الحب، وبرّح به الألم، كان أرق أدبا وأصدق قولا، وأشد فى نفوس السامعين أثراً، ولو عشق الأديب فوق كل التوفيق فى عشقه، وأسعفه الحبيب دائما، ومتعه بما يرغب دائما، ووجد كل ما يطلب حاضرا دائما لسئم وملّ، وتبلدت نفسه، وجمدت قريحته، ولم يخلف لنا أدبا ولا شبه أديب، ولو كان مكان مجنون ليلى عاقل ليلى لكان كسائر العقلاء — وانما فضّل المجنون لأن نفسه كانت أشد حسا وأكثر ألما

ولولا علوهمة المتنبى ما كان شعره، وما علوهمته؟ أليست كراهية الحياة الدون، والالم من أن يعد من سقط المتاع، والتطلع لأن يكون له الصدر أو القبر؟ وعلى هذا المحور دارت حياته، ودار شعره، ولو نشأ قانعا لما فارق بلدته، ولكان سقاء كأبيه يروى الماء ولا يروى الشعر.

وما قيمة المعرى لولا ألمه من الفقر والعمى — لو كان غنيا بصيرا لما رأيت لزومياته، ولا أعجبت بكلماته، ولكان إنسانا آخر ذهب فيمن ذهب — انما خلده ألم نفسه، وأبقى اسمه قوة حسه.

ولو شئت لعددت كثيراً من أدباء العرب والغرب أنطقهم بالأدب حينا ألم الفقر، وحينا ألم الحب، وحينا ألم النفى، وحينا ألم الحنين الى الأوطان، الى غير هذا من أنواع الآلام

نعم قد أجدت اللغة على الأدب كثيرا — لقد أنتجت لهو امرىء القيس وطرفة، وخمر أبى نواس، وفخر أبى فراس ومجون الماجنين، وفكاهة العابثين، وكان غنى ابن المعتز ولذته ينبوعا صافيا لحسن التشبيهات، وجمال الاستعارات — وخلفت لذة هؤلاء أدبا ضاحكا، كما خلف الألم أدبا باكيا. خلفت اللذة أدب السلاة (الكوميديا) وخلف الالم أدب المأساة (التراجيديا) ولكن أى الاديبين أفعل فى النفس، وأيهما أدل على صدق الحس، وأيهما أنبل عاطفة، وأيهما أكرم شعوراً، أى النفسين خير؟ أمن بكى من رؤية الباكين، أم من ضحك من رؤية الساخرين؟ أمن رأى فقيرا فعطف عليه، أو هزأ فضحك منه؟!

***

على أنى أخشى أن تكون اللذة التى أخرجت الأدب الضاحك ليست إلا ألما مفضضا أو علقما «مبرشما» أليست خمر أبى نواس خمورها، وداوئى بالتى كانت هى الداء»؟ أو ليس قد هام بها لأنها «لومسها حجر مسته سراء» فهو يهيم بالخمر فرارا من ألم الدنيا ومتاعب الحياة؟

ولو فتشت عن دخيلة ابن المعتز، لرأيت ألما قد بطن بلذة، وجحيما فى شبه نعيم

* * *

ثم تعال معى الى الحياة الاجتماعية. فخير الأمم من تألم للشر يصيبه، والضر يلحق به، وهل تحاول أمة أن تصلح مابها الا اذا بدأت فأحست بالالم، أوليس من علامة تماثل المريض للشفاء أن يحس بالألم بعد الغيبوبة — ثم من هو المصلح؟ أليس أكثر قومه ألما مما هم فيه. أوليس هو أبعدهم نظراً، وأصدقهم حسا. دعته رؤية مالم يروا، واحساسه ما لم يحسوا، أن يكون أعمق منهم ألماً وأشد منهم سخطاً، فلم يسعه الا أن يجهر بالاصلاح وان يتحمل منهم عن رضى ما يصيبه من ألم، لان ألم نفسه مما يرى بهم، أكبر من أى ألم يناله منهم؟ — وما الوطنية؟ أليست شعوراً بألم يتطلب العمل؟

ومن نعم الله أن أوجد أنواعا من الآلام هى آلام لذيذة تتطلبها النفوس الراقية وتعشقها. ولو عرض عليها ان تعوض عنها لذائذ صرفة لما قبلتها. فلو عرض على الفيلسوف المتألم لذة غنى جاهل لرفض فى غير تردد، ولو خير المصلح المجاهد ينغص عليه قومه، وينغص عليه غير قومه، وينغص عليه بعد نظره، وينغص عليه قوة شعوره ما اختار من حياته بديلا — ذلك لان آلامه سرى فيها نوع من اللذة لا يدركه الا العارفون، وأصبح يهيم بهذا الالم اللذيذ. ويرى اللذة الصرفة لذة أليمة — وكل ميسر لما خلق له.

***

أكره من الألم أن يكون ألماً يائسا، فهو يسلم للضعف فالموت، وأحب الألم الآمل فهو أبعث للقوة والحياة

وتعجبنى اللغة العربية إذ قاربت فى اللفظ بين الالم والأمل، وباعدت بين الألم واليأس، فاللهم لا تحرمنى الألم، ولكن قدّر أن يكون ألماً لذيذا.

أحمد أمين

سحب فى بلاد العرب

الحرب بين نجد واليمن

للاستاذ محمد عبد الله عنان

كان الخلاف يشتد منذ حين بين زعيمى الجزيرة العربية، جلالة ابن السعود ملك نجد والحجاز وسيادة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن. وكانت آمال العرب والمسلمين قوية فى أن ينتهى الزعيمان بالمفاوضة والحسنى الى حسم الخلاف القائم بينهما، وان يبذل كل ما فى وسعه لاتقاء حرب اهلية تشق الجزيرة بعوافها. ولكن العرب والمسلمين فجعوا أخيرا فى هذه الآمال، فوقع الخطب ونشبت الحرب فى الجزيرة للمرة الثانية خلال بضعة أشهر. وكانت قد نشبت فى الخريف الماضى بين القوات اليمنية والنجدية لنفس الخلاف الذى يثيرها اليوم؛ ولكنها أخمدت بسرعة وتغلبت الروية والحكمة يومئذ؛ وكان لصوت العرب والمسلمين أثره فى ذلك؛ فعاد الزعيمان الى التفاهم والمفاوضة، وعقد مؤتمر نجدى يمنى ليبحث وجوه الخلاف، وليحاول الوصول بها الى تسوية مرضية ولكنه لم يوفق فى مهمته لتمسك كل من الفريقين بوجهة نظره فكان تفاقم الخلاف، وكانت الحرب

وهذا الخلاف الذى يضرم الحرب فى جنوب الجزيرة العربية قديم يرجع الى أعوام بعيدة. ومنشؤه مسألة الحدود بين البلدين وتنازع السيادة بينهما على المناطق والاراضى الواقعة بين الحجاز واليمن، وهى تشمل ولاية عسير الواقعة فى جنوب الحجاز وشمال اليمن، ومنطقة نجران الواقعة شرق عسير جنوب شرق الحجاز وشمال شرق اليمن. وقد كانت السيادة فى عسير حتى سنة ١٩٢٢ مقسمة بين قبائل بنى شهر القوية فى قسمها الشرقى، وبين الادارسة فى قسمها الغربى وهو المعروف بتهامة؛ ففى سنة ١٩٢٢ اجتاحت القوات السعودية منطقة عسير الشرقية، وحطمت قبائل بنى شهر واستولت على أراضيها حتى بلاد اليمن وضمتها الى نجد. ولما استولى ابن السعود على الحجاز سنة ١٩٢٥ رأى أن الاستيلاء على تهامة ضرورى لتأمين حدود الحجاز الجنوبية؛ ورأى الادارسة أن القوات النجدية تطوق بلادهم من الشرق والشمال فآثروا التفاهم مع ابن